

حتى زرتم المقابر

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدماً.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.



الكتاب: حتى زرتم المقابر

- ❖ المؤلف: أحمد محمود شرقاوي
- ❖ نوع العمل: قصص
- ❖ الطبعة الأولى 1441 هـ - 2020 م - القاهرة
- ❖ الناشر: ببليومانيا للنشر والتوزيع - مصر
- ❖ رقم الإيداع : 8373 / 2020
- ❖ التقييم الدولي (ISBN): 978-977-6808-20-1
- ❖ تنسيق وإخراج: ببليومانيا
- ❖ المدير العام: جمال سليمان
- ❖ العنوان: عنوان (1): 15 شارع السباق - مول الميريلاند - مصر الجديدة
- ❖ عنوان (2): 38 شارع عمر المختار - الأميرية - القاهرة
- ❖ تليفاكس: 0020226061014
- ❖ محمول: 00201208868826 - 00201065534541 - 00201210826415
- ❖ صفحة الدار على موقع فيسبوك: <https://www.facebook.com/bibliomania.eg/>
- ❖ الموقع الإلكتروني: www.bbibliomania.com
- ❖ كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأحداث وآراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببليومانيا للنشر والتوزيع



حتى زرتم المقابر

قصص

أحمد محمود شرقاوي





www.bbibliomania.com

2020

الإهداء

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

هَدَاءٌ

إلى خالق الروح والنفس والقلم..

ما خط القلم إلا بأمرك..

وما برعت النفس إلا بأمرك..

وما تداوت الروح إلا بأمرك..

سبحانك سبحانك سبحانك..

العدد الأول من سلسلة " مائة الفرع "

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ

" الكاتب "

لطالما كان الجحيم يتربص بك أيها البشري البائس، ولطالما استهوتك الشياطين وتمنت لو تعانقك عناقاً أبدياً تشتاق فيه للموت فلا تجده، وعلى ما يبدو أنك سيء الحظ لتقتني كتابي هذا، ولكن طالما أنك قد اقتنيتَه بدراهم معدودة وظننت أنك تفضل بهما على الكاتب، وطالما أنك هنا، فيجب أن تعرف القواعد والقوانين لعلك ترجع يوماً إلى دنيائك التي ستشتاق لها كثيراً.. فلتتعلم سريعاً وتفهم لعلك تنجو من براثن المائدة..

ستجلس معنا على تلك المائدة دون أي جدال.. ستنهي وجبتك كما يجب، فنحن هنا نكرم الضيف ولا نقبل بأية إهانة منه.. لا وجود بيننا لفتيات رقيقات لا يأكلن طعامهن كله بسبب ريجيم سخي، ولا وجود لمن يعاني من ألم في المعدة أو حتى الأمعاء.. ولا وجود لمن يدعي الايتيكييت فيأكل بطرف الشوكة ليتباهى أمامنا.. كلنا هنا سواء، لا فضل بيننا إلا لمن ينهي وجبته كلها.. أنت هنا إذا ستنهي وجبتك دونما توقف، وسترحل حينما آذن أنا لك..

" صاحب المائدة "

الآن نحن في حضرة المائدة، لا تسمعوني صوت أنفاسكم حتى لا
نغضب عليكم، اجلسوا في صمت على مقاعدكم..

تشعرون بالرهبة؟!

أعرف هذا..

الظلام مخيف؟!

أعرف هذا..

ها قد جاء الطعام.. ما أجمله حقا..

لا تنظر أبدا لمن يضع الطبق أمامك حتى لا تفزع.. إنه نادل
الجحيم ولا أظن أنك ستسر لو رأيته.. ها هو يضع الوجبات أمامنا
ثم يرحل.. هناك فتاة تجلس معنا تغمض عينيها.. يمكنك فتحهما
الآن..

هيا تناولوا ولا تنهضوا أبدا حتى تنتهي وجباتكم وإلا فسيلاهو
الجحيم بكم..

آآآآآآآآآآ..

أحمد هرقاوي

حتى زرتهم المقابر

ما أجمل تلك الوجبة..

إنها مفضلة لدي حقا..

تتساءل عن اسمها؟..

حسنا، إنها تسمى " حتى زرتهم المقابر "

حتى زرتهم المقابر

" عباس "

آه من الدنيا وما فيها.. أشتاق للبكاء حقا.. ولكن ماذا لو رأني
أحدهم وخاصة والدي؟!!

ستكون كارثة حقا.. سيندب حاله على الرجل الذي أنجبه من صلبه
ويقول: " يا ليتني أنجبت بنتا بدلا منه " وما مثل هذا.. نعم في
ثقافتنا الرجال لا يكون أبدا.. هذا ما تربينا عليه وهذا ما وجدنا
عليه آباءنا.. تتساءل لما البكاء أصلا؟!!

لن أجيئك يا هذا.. فأنت لا تستحق الإجابة.. ولكن يكفيك أن تعرف
ما معنى شاب قد بلغ الخامسة والعشرون، من عائلة متوسطة
الحال.. هذا يعني حبيبة تخلت ووظيفة أصبحت سرايا.. وشقة
تحتاج لعشر سنوات من العمل لتحصل عليها ثم مثلهم لتشطيبيها
وجعلها قابلة للحياة.. ثم نظرات حسرة من والدين، يعتبرونك عار
لا تقدر على شيء، وأن سارة ومريم هن أفضل منك.. تتساءل
من سارة ومريم؟!!

هم أخواتي البنات..

لذا هناك دوما طريق يقبل بك مهما كنت.. فقير أو غني.. قبيح
الهيئة أو جميل.. إنه طريق المخدرات..

ما أجملها حقا، فهي قادرة على جعلك تحلق في عوالم النسيان..
تنسيك كل ما يؤرق لحظات حياتك.. تنسيك حبيبتك وأبيك وأمك
حتى اسمك لا تذكره إلا بصعوبة..

لا تصدق كلماتي السابقة فأنا أوهم حالي حتى لا أفيق وأتحسر
على نفسي..

نعم لقد تعاطيت من قبل مرات معدودة ولكني الليلة في حالة
يرثى لها.. سأموت كمدا لو لم أحصل على القليل منها.. لا ضرر
إن كان ماء أو دخان أو حتى كيميا.. المهم أنه شيء يذهب بالعقل
ولو قليلا.. تراجلت من بيتنا وسط نظرات استحقار من والدي.. أرى
ما يدور بعقلهما.. لا لن أخبركما به فأنتم تعرفونه..

جلست على المقهى التي تقبع على مدخل الشارع والتي تسمى
بنفس اسم الشارع.. مقهى " علوان "

شارد الذهن سيء الهيئة أنظر للفراغ.. لم أفق إلا على محمود
صبي المقهى وهو يضع الشاي أمامي ويقول:

_ أحلى كوب شاي للأستاذ عباس

ابتسمت له في ود فرحل عني وهو يصيح..

" واحد شاي على ميه بيضا هنا "

مر من أمامي أحدهم وحياني ولكني كنت شارداً فلم أرد له التحية..

بدأت أفكر في كيفية الحصول على المخدرات الليلة.. وكم كان الحظ مبتسماً، فلم ألبث سوى دقائق حتى ظهر مسعود صديقي وجلس بجوارني مبتسماً ابتسامته المقيمة وقال:

_ مساء الفل يا عبسي

_ مساء مثل أي مساء

نظر لي واتسعت ابتسامته التي كشفت عن أسنان قد ماتت وتحللت منذ قديم الأزل وتابع:

_ ما بك يا جميل أخبرني فأنت لست على ما يرام؟!

_ ومنذ متى وأنا على ما يرام؟

_ أخبرني ربما أساعدك.

_ أريد شيئاً

نظر لي بخبث واتسعت حدقتي عينيه حتى كاد يتحول وجهه لوجه شيطان رجيم وقال:

_ عنيا يا عبسي، أي صنف تريد؟

كنت أعي فرحته التي تغمره بسبب ما قلته.. فما أجمل من أن يرى
فاشلاً شاباً متعلماً ينافس في فشله.. إنه وقتها يشعر بنشوة
عجيبة ويرمم عنده شعور النقص.. لم أفكر كثيراً فأنا لا أريد هذا
وقلت:

_ أي شيء

شرد قليلاً وأخذ يفكر بعمق كمن يكتب بحثاً لتخصيب اليورانيوم
وقال:

_ سأرسلك إلى صديقي عاصم وسيعطيك ما تريد مجاناً فقط قل
له أنك من طرفي

_ وأين أجد عاصم هذا

قلتها بنهم وجشع فأجاب بصوتٍ بطيء جعلني أرتجف بشدة..

_ في المقابر البحرية

تركته على الفور بعد أن أخبرني كيف أجد عاصم هذا.. ها أنا
أسير ناحية المقابر بخطوات تشبه الهرولة.. الذكريات البائسة
تهاجم أسوار عقلي الهشة في ضراوة ودقة، تكاد أن تهدم السور
وتفتك به.. أريد أن أسرع حتى أنتهي من الأمر برمته..

دقائق وكنت أقف على مدخل المقابر البحرية.. لا لن أحدثك عن رهبة المكان ولا عن شعور أنك مراقب وأن الأضحة تراقبك في شراسة.. الحقيقة أنني لا أبالي بكل هذا فالأهم هو الحصول على المخدر وبعدها سأصف لك المكان أيها البائس..

الحقيقة أنا أقول بائس لأن هناك رقابة ولو امتلكت فرصة فسأنتعك بكافة الألفاظ القبيحة التي تقبع في القاموس، لِمَ؟!
لأنني أكرهك وأكره كل شيء في تلك الحياة..

سلكت دربًا متعرجًا موازيًا للمقابر حتى وصلت لغرفة مصنوعة من الخشب المتهاالك.. ابتلعت ريق في صعوبة وحاولت السيطرة على أنفاسي وهو جسي التي تخبرني بأنني ما إن أطرق الباب حتى يهجم رجال الشرطة، الشرطة التي لا تقبض سوى على من يتعاطى للمرة الأولى فقط وتترك من يتاجر تحت أعينها..

طرقت على الباب طرقات خفيفة، لحظات وانفتح الباب ليظهر على عتبه شاب وسيم.. وسيم لدرجة كبيرة بأعينه الزرقاء ووجهه الأبيض المستدير وشعره الناعم الأحمر.. تأملته في دهشة فابتسم لي وقال بصوت ودود:

_ من أنت؟

أحمد هرقاوي

حتى زرع المخارير

أجبتة بتردد وخوف..

_ أنا من طرف مسعود و.....

ابتسم في مكر وقال:

_ مفهوم مفهوم

قادني إلى الداخل وأصابتنني الحيرة حينما وجدت امرأة وشاب
صغير في السن هزيل الجسد يجلسون بالداخل معه.. أجلسني
بجوارهم وأنا أشعر بالخوف والتوتر الشديد وقال:

_ مرحبا بكم جميعا

"علياء"

الحياة غير عادلة.. هذه هي أهم قاعدة ينبغي أن تتعلمها حتى تقدر على العيش وسط هؤلاء الغوغاء.. البشر أخط من أن تضعهم في عين الاعتبار، لن تسمع إلا عن قليل من البشر ممن احتفظوا بنقائهم وبريقهم.. ولكني أبشرك، لن تجدهم أبداً ما حييت، هم يعيشون في أماكن مهجورة كالخفافيش، لا يخرجون للنور إلا مرات معدودة.. يفضلون الظلام لأنه يخفي ملامح البشر.. تتساءل لِمَ أنا بائسة هكذا؟!

حسنا سأخبرك أيها الوسيم وسأخبرك أيتها الحسناء..

أنا عانس..

نعم هم يقولون هذا مرارا، العالم كله بمن فيه يؤكد هذا..

هل ستنتفيه أنت؟!

حسنا لقد تخطيت الثلاثون منذ ثلاثة أعوام.. رقم مميز ليس كذلك؟! تبتسم أم تشفق علي؟!

لا تهمني نظرتك فأنت بشري على كل حال.. أبي يلطم وجهه كلما رحل رجلا عني قبل أن يعقد القرآن وكأنني قد فقدت عذريتي.. أمي تتحسر ليل نهار وكأنها أنجبت مسخا شريرا لا ينبغي له الخروج للنور حتى لا يلتهم الأحياء..

تخيل أن أكثر من تنتظر منهم الدعم في حياتك هم من يضربونك بسوطٍ من الجحيم.. همسات الفتيات تخرق مسمعي في كل اجتماع.. عرس، خطبة، أو حتى اجتماع عائلي.. نظرات شفقة واستحغار وشماتة.. وهناك نظرات هي مزيج من الثلاثة.. حتى أنه ذات مرة ونحن عند خالتي وبعد أن دار الحديث عن مرضي الخبيث الذي لا بد له من علاج فورا حتى لا يعدي بنات العائلة قالت خالتي بتلقائية لابنها الذي يصغرنى بعشر سنوات:

" تزوج ابنة خالتك واستر عليها يا يوسف "

تلك الكلمات كان وقعها على نفسي أشد إيلاما من الحرق حياً.. لا لست مبالغة، فهذا اليوسف كنت أحمله بين يدي وأشتري له الحفاضات بل وأنظفه من فضلاته.. وما زاد الطين بلة.. أنه أجاب والدته بهذا..

" لا أتزوج راهبات "

ثم ضحك الجميع وأنا أضحك معهم بقلبي محطم وابتسامة باكية.. أعلم أنك قد شعرت بالملل من حديثي هذا ولكن إليك ما حدث اليوم.. كانت خطبة لابنة الجيران.. فتاة لم تتخطى الحادية والعشرون.. كنت أعرف أن اليوم لن يمر على خير أبدا.. أبدا أبدا.. بكيث لأمي كي تتركني ولكنها كانت تندب وتقول:

إن الجيران سيأكلون وجهها إذا لم أكن معها.. لا، ليسوا أكلني لحوم بشر، سيأكلون وجهها تعني أنهم سيلومونها بشدة.. وكم كانت أمي قاسية واضطرت أنا للذهاب.. كان هناك صوان للرجال أسفل المنزل به بعض المقاعد وبالداخل كانت النسوة يغنين ويرقصن..

بدأت نفسي تراودني، أتخيل أنها خطبتني أنا.. أتخيل هذا الرجل الذي سيتغاضى عن كل عيوبه وعن الثلاثة والثلاثون عاما ويقبلني.. يقبل علياء بكل ما فيها.. نعم أنا أدعى علياء.. ابتسمت وزادني الخواطر من الشعر أبياتا حتى أنني لم أشعر بكل ما كان يحدث حولي.. حتى تعمدت أخت الفتاة المخطوبة أن تصطدم بي.. كان الأمر مقصودا بوضوح شديد، ابتلعت غضبي كمن يبتلع نبات الصبار وتمهلت.. ولكن الأمر ما كان ينتهي هنا، أنت تعرف هذا.. أنا أعتبر نذير شؤم في أي مكان.. لا، لست مبالغة فهذا ما يقولونه مرارا، التفتت إلي بغضب مصطنع وقالت:

_ هل أنتِ عمياء؟!

نظرت لها والجحيم يصب حممه داخل عيني وقلت لها:

_ أعتذر لك

كانت الفتيات تراقب المشهد ويتمنون لو اشتد الأمر، ولكن خاب
أملهم حينما اعتذرت أنا لترحل الفتاة وهي تغمغم بصوت
مسموع:

_ ما الذي جاء بها إلى هنا؟

شعرت بالخجل الشديد وحاولت الرحيل في هدوء ولكن أُمي رأَتني
من بعيد ونظرت لي نظرة وعيد تعني أن ألتزم مكاني حتى لا أثير
المشاكل.. وقفت بعيدا قليلا عن تجمع الفتيات وأنا أعد اللحظات
حتى موعد الرحيل..

نادتني أُمي فذهبت لها وكانت وسط جمع من النسوة فقالت:

_ هذه صديقتي سوسن فلتحييها

مددت لها يدي وأنا أبتسم ابتسامة ودود فقالت هي:

_ إنها مثل القمر هل فقد الرجال أبصارهم؟!

شكرتها بهدوء ووقفت صامتا لتعقب أخرى..

_ لا تقلقي، سيأتيك نصيبك عما قريب ولكن يجب أن تأخذي
بالأسباب

نظرت لها بحدة وأنا أشعر بالأم في قلبي وغضب عارم يوشك على
الانفجار وقلت:

_ وهل أقبل أقدام الرجال ليقبلوني زوجة لهم

توترت المرأة وقالت:

_ لا لم أقصد هذا

أجبتها بصوت مرتفع قليلا:

_ وماذا تعنين بأن آخذ بالأسباب أخبريني؟

لم تجبني وإن لفتني نظرات الدهشة والشفقة.. كان عقلي
يستعرض مهاراته في براعة وقتها.. يعرض كل المشاهد دفعة
واحدة..

خالتي وابن خالتي

" لا أتزوج راهبات "

اجتماع العائلة وشجاري مع أختي لتنعني بكلمة " عانس "

أمي وحديثها القاتل..

نظرات أبي الغاضبة..

رحيل كل رجل يعرف بعمرى الحقيقي..

كلمة مدام التي سمعتها من كل السائقين تقريبا..

" لا أتزوج راهبات "

نظرت للمرأة بغل قاتل وقتلت:

_ أخبريني يا امرأة كيف آخذ بالأسباب ليأتيني نصيبي؟

نهضت أُمي من مكانها وهي محرّجة وقبل أن تصلني أفقت من غضبي حينما ارتطمت بي أخت الفتاة المخطوبة من جديد وهي تحمل صفحة عليها أكواب من العصير ليسقط إحداها على ملابسي..

لم تعتذر لأنها كانت متعمدة هذا كما تعرفون.. حينها فقط انفجر البركان واشتعل اللهب بداخلي.. أمسكت كوبا وسكبته على وجهها لتصرخ مذعورة وتراجع للخلف.. لحظات مرت والصمت يلف المكان وإن هاجمني طنين غريب جعل أذني تكاد تنفجر من شدته.. عيناى تحرقاني وكأنها تقطر دما.. وكان رد الفعل حاضرا حينما قذفت ما تبقى من أكواب عليّ.. هجمت عليها وأنا في عالم آخر من الغضب.. الغضب من كل شيء.. كل ما حدث لي كنت أشعر أن تلك الفتاة سببا فيه.. هي البشر جميعا.. هي الحظ البائس والرجال فاقدو البصر.. هي كراهية أبي وحسرة أُمي.. هي كلمة " عانس "

أمسكتها بعنف من شعرها لترتفع صرخاتها وصرخات النسوة ولكني لم أبالي.. صفعتها بكل ما يفتعل في نفسي على وجهها

فتألمت.. الفتيات يحاولن فض الشجار ولكنني كنت ك الوحش
الهائج..

لم تستطع إحداهن أن تفصلني عنها وأنا أصب جام غضبي
عليها.. بالطبع ارتفعت الصرخات وتجمهر الرجال.. بالطبع عرف
أبي بأنني سببا جليا فيما يحدث.. وأفقت على يد قوية تقبض
على عنقي بكل قوة.. شعرت بالاختناق وشهقت لتهوي يد غليظة
على وجهي لأسقط أرضا.. كان أبي يقف بجواري يصيح غاضبا:

_ أنت لعنة ليتك تموتي أو تحترقي في الجحيم، أنت فضيحة،
ليتني مت قبل أن أنجبك

ركضت مبتعدة وأنا أبكي بحرقة وسط نظرات الشماتة من
الجميع..

كنت عاقدة العزم على الموت.. سأقتل نفسي مهما حدث،
سأجعلهم جميعا يشعرون بالذنب ما تبقى لهم من العمر، ووسط
أفكار العقل الشريرة تلك تذكرت.. تذكرت عفاف وهي تحاول
مرارا أن تقنعني بالذهاب لعدنان الساحر..

" صدقيني ستحل كل مشكلاتك، فقط استجيب لي "

كنت أرفض باستماته ولكن ما الذي قد يحدث أفضع مما حدث..
ترجلت نحو بيتها القريب..

استقبلتني بدهشة وهي ترى الدموع تسيل من عيني.. دلفت إلى بيتها وقامت بإعداد الشاي الساخن لنا وبعض الطعام وجلست تستمع لي.. كنت أحكي لها بانهدار وهي تستمع وتربت على كتفي.. احتوتني كما لم يفعل أقرب البشر لي وقتها وكم كنت ضعيفة وقتها، هشة كورقة في مهب الريح.. حدثتني عن عدنان من جديد ولم أعترض، لم يقوى شيئاً في جسدي على الاعتراض..

ارتدت ملابسها سريعاً وقالت:

_ هيا بنا

_ إلى أين؟

قلتها كعبد يحدث سيده..

_ لن نضيع الوقت، فعدنان يستقبل النساء يوم الجمعة والثلاثاء فقط، ومن حسن الحظ أن اليوم هو الثلاثاء

خرجنا من الشارع وأنا شاردة أشعر بالخوف والضعف.. أتمسك بيد عفاف بقوة مستمدة منها القليل من الأمان.. نظرت صدفة فوقعت عيني على عباس وهو يجلس على المقهى القابعة على أول الشارع.. كلنا نعرف بعضنا كما تعلمون في البلدان الصغيرة.. كانت هيئته مريبة جعلتني أدقق النظر في عينيهِ لألمح بعض

الدموع التي توشك على الخروج، شعرت بشفقة عجيبة ناحيته، هموم العالم تجتمع في عينيه وتستغيث بأي صديق..

انعطفنا ناحية شارع جانبي وسرنا فيه، يصحبنا الصمت ودقات قلبي المسكينة.. بعد دقائق كنت أقف أمام بيت عدنان، لا، لم يكن بيتا مقبضا أو مريبا مخيفا، هو بيت كأى بيت لا يلفت النظر إطلاقا.. طرقتنا الباب لتفتح لنا امرأة بدينة قبيحة الخلقة.. وجهها كان غليظا وعينيها كأعين الخفافيش.. نظرت لنا بشزر وعدوانية شديدة ثم أفسحت لنا الطريق لندلف إلى الداخل..

صالة متوسطة الحجم بها أريكة خشبية تجلس عليها سيدتان، جلسنا أنا وعفاف وانتظرنا لندلف إلى الشيخ.. نعم الشيخ عدنان فهل أجرؤ أن أقول الساحر وأنا في عرينه!؟

غبي من يعادي الأسد في عرينه..

دقائق تمر بطيئة ثقيلة.. إنها لعبة الزمن الذي يركض كالجواد الجامح والسلفاة.. إنها علاقة عكسية بين الزمن وشعورك به.. فكلما أردته أن يتمهل ركض كالفهد في البراري، وكلما أردت أن يتمهل أكثر كلما زادت سرعة الفهد، والعكس صحيح طبعا..

أشارت لنا البدينة لندخل وهي تنظر لنا بخبث شديد، تلك المرأة شريرة يا قوم صدقوني.. فلندلف إلى الغرفة إذا..

نعم هو ما تراه في التلفاز بالضبط.. رجل يرتدي جلباب رث الهيئة أشعث الشعر له عين بيضاء تماما لا ترى، أو ربما ترى ما يدرينا؟! لحيته بيضاء كثيفة غير منهدمة وشعره عبارة عن ثلاث خصلات تتدلى على وجهه.. وهناك النار التي يحرق بها والدخان الكثيف ورائحة البخور الغريبة..

جلسنا أمام النار في رهبة، قلبي كما تعلمون ينبض بعنف وأنفاسي تتسارع، الخوف ينزلق في شراييني مع الدماء والتوتر قد بلغ مبلغه.. تحدث بصوت عميق هادئ وقال:

_ من منكم علياء؟!

رفعت إصبعي وأنا أرتجف، نظر لي بعين ميتة وأخرى جاحظة وتابع:

_ دققي النظر في عيني وأخبريني بما تريه

هنا بدأ الخوف ينسحب ويحل محله شعور الرعب الدميم.. الدخان يخنقني وقلبي يتواثب.. دققت النظر بعناء في عينيه، حاولت مرة واثنين حتى فعلتها.. عين عمياء بيضاء بها سائل غريب يدور كما الدوامة، دوامة تسحب وعيك ببطء فتشعر أنك تغرق بداخلهما، الأخرى كانت مخيفة بجحوظها العجيب، تظن لوهلة أن القرنية سوف تخرج من مكانها..

شهقت بفزع حينما تحولت العين الميتة لعين حية ترزق، لقد نبت لها نين أسود من قلب النهر الأبيض المخيف، أخذت تحملق في وجهي بقوة وثبات عجيب، شعرت بأنها تثبر أغواري وتحطم كل إرادتي شعرت بها تعبت بكافة جسدي كأنها أياد كثيرة، أشعر بمن يعبث بعورتي ويمزق إرادتي، هناك قوة عجيبة تقتلني، إنه يغتصبني بلا شك.. ثم اخترقت تلك الأياد جسدي لتدلف إلى خلاياي من الداخل.. إنها تصل لكل شيء وأي شيء، وكأنني عارية في صندوق من الزجاج وهناك جمع غفير يحملق في جسدي.. ثم أخذت اليد الخفية تعبت بعقلي، يئن ويصرخ هو وشعور بصداع عات يفتت جمجمتي.. صرخت من الألم، قبضت بعنف على رأسي وأخذت أتلوى وأتلوى وأنا أزيد وأزيد في الصراخ.. ثم انتهى كل شيء..

صغير مخيف هو ما يحيط بي، لقد فقدت حاسة السمع بلا شك، وبعد لحظات من الترقب عادت الأصوات من جديد، عفاف تناديني من مكان بعيد جدا، وكأن بيني وبينها نهرا جاريا، أفقت لأرى عفاف جزعة خائفة والشيخ يجلس كما هو.. ترقبنا أن يتحدث وبعد لحظات فعل..

_ سقيمة بالنفور أيتها الهائمة

لم أعي كلماته فنظرت له بتعجب، فتساءلت عفاف:

_ دلنا على الدواء يا سيدنا

_ الدواء عند الأموات، فمن الميت يخرج الحي

كادت أعصابي أن تفلت مني من غموض كلماته ولكنه تابع:

_ خمس جرامات من الذهب الخالص

_ ماذا؟!

قلتها بدهشة ممزوجة بالغضب لتضغط عفاف على يدي بعنف
لأصمت وتقول:

_ نملك المال الذي يجلب الذهب

_ أحضروه ثم عدن إليّ

_ نحن على عجلة من أمرنا يا سيدنا، نسألك الرحمة والقبول

كنت أعي تمام اليقين أننا قد سلطنا طريق الهاوية وكنت أعي
أنني سوف أعاقب عما قريب، ولكن نفسي خضعت ولم تقاوم
للأسف..

غادر الشيخ قليلا وأنا أرتجف في مكاني من تلك التجربة المريعة
التي مررت بها..

عاد بعد دقائق ومعه لفافة من القماش معقودة عدة مرات..
ناولني إياها فلم أستطع أن ألقفها منه، تناولتها عفاف منه
وناولته النقود التي كانت معها، لم أكن أدرك أنها ستعطيه من
مالها ولكنها فعلت، خلع حذاءه ووضع النقود بداخله ثم لبسه
ثانية.. موقف عجيب ولكن له مغزى أكيد.. تحدث من جديد بصوته
الهادئ الرصين وقال:

_ سرفع المحذور ونجلب المكتوب ونحن بما نريد لفاعلون

_ وماذا نفعل بتلك اللفافة يا مولانا؟

قالتها عفاف ليجيب هو بهيئته القبيحة وبشروء تام:

_ توضع بين اللحم والدم وتدفن أسفل التراب والطين، ولا بد ألا
تفعلها سوى يد السقيم وإلا زاد الخطر واشتد الأمر

_ لم نفهم يا مولانا نرجو منك الشفقة والتوضيح!؟

أشار بيده أن اخرجوا.. شعور الخوف تغلب على شعور الحيرة حينما
نبضت عينه الميتة كنبض القلوب.. هرولنا نحو الخارج فاستقبلتنا
المرأة البدينة بابتسامة مقبلة.. اقتربت منها عفاف وقصت لها ما
حدث سريعاً وتساءلت عما نفعله.. لم تتحدث وإنما ظلت تحمق
بنا بعيني الخفاش القبيحتين.. فهتمت عفاف وأخرجت ورقة نقدية
وناولتها إياها وهي تقول:

حتى زرع المقابر

أحمد هرقاوي

_ نبغي علمك يا خالة

تحدثت أخيرا وقالت:

_ يدفن العمل في أحد القبور المدفون بها جثة حديثة وخاصة
بداخل جلد الجثة، ولا يدفن العمل سوى من يريد الشفاء

شهقت من هول الأمر وصحت فيها:

_ أجننت يا امرأة أم أنك تهذين؟

نظرت لي باستهانة ثم تركتنا ورحلت.. لحقتها عفاف متوسلة
وهي ترجوها أن تساعدنا بأي شيء، نظرت لي من جديد فاعتذرت
لها عفاف عما فعلته وأخذت ترجوها ومن ثم أعطتها ورقة نقدية
جديدة فقالت:

_ سأدلكم على من يساعدكم وييسر لكم الأمر كله

_ من يا خالة؟

_ شاب يدعى عاصم، يقطن بالمقابر البحرية اذهبن له وارجعي
أنتِ لأنه لن يوافق بوجودك وسوف يساعدها

_ شكرا يا خالة

خرجنا من المكان وأنا في حالة يرثى لها من الخوف والقلق والتوتر..

حاورتني عفاف كثيراً وكدت أن أتغلب عليها ونرجع عما نحن فيه ولكن دارت الدائرة وتغلبت عليّ في النهاية، والأعجب أنها أقنعتهني أنها سوف توصلني حتى عاصم هذا ثم ترجع لبيتها لتتصل بأمي وتطلب منها أن أبيت معها حتى أطمئن من هذا الأمر..

وبالفعل بدأنا المسير ناحية المقابر، المقابر يا له من اسم مهيب، مخيف...!!

وصلنا بعد مسير دام دقائق ولكنه كان كعقود، طرقتنا الباب فخرج علينا شاب وسيم جدا، حتى أنه أنساني خوفاً وغبت في عينيه الزرقاء ووجهه المهذب..

علم منا بالأمر ورفض وجود عفاف التي تركتني في حضرة هذا الشاب الجبار، دلفت إلى الغرفة لأفاجئ بوجود شاب صغير في السن يجلس متوترا..

جلست بجواره خائفة، وقبل أن يتحدث عاصم هذا، سمعنا طرقات من جديد.. نهض عاصم وفتح الباب وتحدث لثواني، ثم أفسح المجال لتغمري المفاجأة حينما رأيت هذا على الرغم من الإضاءة الضعيفة جدا، شاباً يذلف بصحبة عاصم ثم يجلس بجواري أنا والشاب الصغير الآخر..

حتى زرع المخارير

أحمد هرقاوي

لما فوجئت؟

لأنه كان نفس الشاب الذي رأيته يجلس على المقهى مهموما..
أذكرونه؟!

لقد كان عباس..

جلس عاصم قبالتنا وقال بكل هدوء:

_ مرحبا بكم جميعا

"عمر"

" لو كان الفقر رجلاً لقتلته "

ما أقبح الفقر وما أقبح كل شيء يقود إليه، الفقر يجعل الحياة
جحيماً، الفقر يحطم كل شيء، وأي شيء..

الكبرياء..

الطموح..

الثقة بالنفس..

كل شيء ينحني أمام مطرقة الفقر ويستسلم تماماً دون قيد أو
شرط.. لذا كانت رحلتي شاقة.. شاقة بطريقة تداعب المستحيل
وتقترب منه بسرعة..

كلية الطب كانت الحلم الأول والأخير، ولكن هل تقبل شاب معدم
لا يجد ما يسد رمقه؟!

أعيش في أسرة معدومة بمعنى الكلمة، أبي يعمل في حمل أي
شيء على ظهره، ظهره هو رأس مالنا الوحيد في تلك الحياة، كان
يحمل الأمتعة والبضائع طوال اليوم ليرجع لنا بلقيمات تكاد تسد
الرمق، أمي مريضة طريحة الفراش منذ أن وعيت على الدنيا

وأخواتي البنات الست يخدمن في البيوت لتعود إحداهن كل يوم وقد ضربت أو أهينت أو طردت..

كان أمل العائلة كله يقع على عاتقي، الأمل في زواج أخواتي وتجهيزهن، الأمل في علاج أمي، الأمل في راحة أبي، وكان هذا ما سيتم حتما حينما تعلمت مهنة الخراطة وبدأ المال يأتيني من كل مكان.. ولكنه الطموح لا سامحه الله، الطموح الذي جعلني أذهب للدراسة وأتفوق على كل أقراني، الطموح الذي جعل حلم كلية الطب يقبع في رأسي ويحيط نفسه بكافة الأسوار المنيعه..

وكان الحمل ثقيلًا جدا، ثقيلًا لدرجة تقصم الظهر، طفل يذهب للدراسة ثم ينتهي يومه الدراسي ليرجع للورشة ويتم بها باقي يومه ثم يعود للبيت في منتصف الليل ليفقد الوعي من الإجهاد ثم يستيقظ ليعاود الكرة من جديد.. مرت المرحلة الأولى والثانية والحرب تدور على رأسي، أبي يريدني أن أترك الدراسة وأتفرغ للعمل، خاصة وأن ظهره قد بدأ يئن تحت وطأة الأحمال، وأنه عاجلا سوف يعجز تماما.. لا ألومه، فهو رجل بسيط، فقير، يحمل على عاتقه حملا ثقيلًا..

رفضت رفضاً قاطعاً، وصرخت فيهم بأنني سأكمل دراستي حتى النهاية، كنت أتغيب كثيرا عن العمل في المرحلة الثانوية بسبب كثرة الواجبات وخلافه، الأمر بدأ يحتاج لجهد ذهني أكبر، ووقت أطول، أبي يرجوني أن أتحملة وأترك الدراسة، خاصة وأن عائدي

المالي قد تباطأ سريانه في المنزل بصورة واضحة، وأن أخواتي أصبحن على وشك الزواج، اعتذرت له وقررت أن أصارع نفسي ولا أتغيب عن العمل نهائياً، تخيل معي كنت أعمل بالورشة وأمامي الكتب أقرأ منها!!

كانت فترة عصيبة، حيث قلت جودة العمل وأصبحت شارداً مرهقاً، ولكن فضل الله جاء في صاحب الورشة، حيث أنه تغاضى تماماً عن إهمالي الشديد هذا..

وحققت حلمي ووضعت قدمي في مبنى الكلية.. لم يتفهم أبي ما جدوى الأمر، ولكني كنت أحييا في عالم من الأحلام الوردية، وأنها مجرد سنوات قليلة ويفقه أبي ما فعلته ويفتخر بي، سنوات وسوف أعالج أمي وأزوج أخواتي وأشتري منزلاً و و و ..

وأخذت أردد طوال الوقت.. أنا الدكتور عمر، أنا الدكتور عمر، أنا الدكتور عمر..

وكان القدر يضحك بسخرية حينما عرفت بكم التكاليف المطلوبة مني في تلك الكلية، أموال طائلة لا طاقة لي بها، أموال تحتاج للعمل ليل نهار ثم أنفقها كلها في شراء الكتب والأبحاث وخلافه..

ولكن ماذا عن البيت؟!

وبدأت رأسي تنهار في محيط أسود من كثرة التفكير الشديد، وجاء اليوم الذي تحطم فيه كبريائي حينما بدأت أطرق أبواب المعلمين وأخبرهم بأنني غير قادر على شراء الأبحاث والمراجع، تفهم البعض الموقف وتم تيسير الأمر لي وسخر مني البعض من خلال تجاهلهم ونظراتهم المريبة، وبمعادلات حسابية جبارة يعجز عقل أينشتاين أن يجريها استطعت تدبر أموري وبدأت السنين تمر ويقترب الحلم الأكبر، ست سنوات مروا كقرن من الزمان، ست سنوات من الجحيم والإرهاق المميت، ولكنهم مروا واشتد عودي وأصبحت سنة واحدة تفصلني عن التخرج..

مرت الأيام وأنا أعمل طوال الليل وفي الكلية طوال النهار، وكان النوم يهجمني طوال اليوم فأقاومه مرات ويغلبني مرات.. واقتربت السنة من الانتهاء، وبدأ الكل يستعد لإنجاز مشروع التخرج..

بحث متكامل عن أحد أعضاء الجسد، طبيعة العضو، هيئته، وظيفته، الأمراض التي تتمكن منه وخلافه..

وبدأ الكل ينفق في سخاء، فهذا يشتري كبد وهذا يشتري طحال ووو، بالطبع كل هذا يتم في الخفاء، وبما أنني كنت متخصصاً في مجال العظام فقد تجمع القسم على هيئة مجموعات لشراء الهياكل العظمية، وقد كنت في مجموعة تضم فتاة وشابين..

كانت صدمة لم يتقبلها العقل حينما أخبرنا أحد أعضاء مجموعتنا أنه تدبر الأمر مع أحد المعارف لشراء هيكل عظمي كامل، وسوف يتم تقسيمه بيننا، وسيتكلف كل منا خمسون ألفاً.. ابتسم الجميع في راحة شديدة فهذا مبلغ بسيط جداً مقابل هذا الكنز، فالبحث مع وجود الهيكل أسهل مرات ومرات من البحث من خلال المراجع والأبحاث التي ستجعلك تأخذ أشهر كاملة لتتمه.. ابتسمت معهم وكأني أشعر بالسرور حتى انتهينا ثم رحلت عنهم وأنا أنزع الدموع كي لا تفارقني.. كيف سأدبر مثل هذا المبلغ؟!

هذا مبلغ خرافي يحتاج لعشرة أشهر من العمل المتواصل.. ثم لمن أذهب هذه المرة؟!

إنه مشروع تخرج ولجنة حكم، الأمر لا يختصر في يد معلم من المعلمين.. هل أظهر فقري أمام زملائي؟!

لا، فهذا سيكون بمثابة الضربة القاضية التي ستحطم ما تبقى من كبريائي إلى الأبد، فإن كنت أفعلها مع المعلمين فقد لاقيت من المهانة ما لم أراه في حياتي فكيف أفعلها مع من هم في مثل عمري، بل كيف أظهر فقري لفتاة أرى نظرات الإعجاب تظهر جلية من عينيها... وجلست مهموماً يومها كما لم أكن في حياتي، كنت أجلس على المقهى.. أغلقت هاتفي حتى لا يتصل صاحب العمل، نظرت بجواري فرأيت عباس فحييته، ولكنه كان شارداً، ولم يرد التحية..

لحظات وظهر مسعود وجلس بجواري:

_ مساء الفل يا دكتور

عدلت من وضع عويناتي بتوتر وأجبتة:

_ أعتقد أنه لن يكون هناك دكتور

_ لماذا تقول هذا يا عمر؟!

قالها بتمثيل واضح، فقلت له بحزن لم أستطع إخفاؤه:

_ أحتاج لمبلغ من المال لشراء شيء خاص بالكلية

_ لكم تحتاج، نحن إخوة؟

قالها وهو يضع يده في جيبه، فابتسمت له وقلت:

_ شكرا لك.

_ أخبرني بالأمر، فقد أساعدك

_ أحتاج لهيكل عظمي لإتمام مشروع التخرج من الكلية والأمر

يحتاج لخمسون ألفاً.

صمت قليلا ثم اتسعت ابتسامته رويدا رويدا في خبث وقال:

_ وأنا معي ما تريد

عدلت من وضع عويناتي ونظرت له وقلبي ينتفض في ترقب
وقلت:

_ ماذا تقصد؟!

في تلك اللحظات مرت علياء من أمام المقهى، امرأة بائسة لم
تتزوج حتى الآن، ولكن ما شد انتباهي أنها نظرت لعباس نظرة
طويلة ثم رحلت مع امرأة أخرى، هل هناك علاقة بينهما؟!

زجرت نفسي وقلت لها " انظر إلى حالك يا فاشل أولاً "

عدت ببصري لمسعود الذي أخرج مبلغاً من المال وأعطاني إياه،
نظرت له ببلاهة واضحة، هذا مبلغ قليل جداً خمسمائة جنيه فقط
وأنا أحتاج مثلهم مائة مرة..!!

دفعت له ماله وقلت:

_ أتسخر مني؟!

ابتسم في مكر وقال:

_ ما الذي تحتاجه؟

_ قلت لك خمسون ألفاً، وحتى لو أعطيتني إياهم فلن أقبلهم
منك.

_ لا، أنت تحتاج لهيكل عظمي

_ ماذا تقصد؟!

_ أقصد أن الخمسمائة جنيهه سوف تفعل ما ستفعله الخمسون ألفاً

خلعت نظارتي ومسحت زجاجها في توتر شديد وقلت:

_ ماذا تقصد؟!

_ سأدلك على أحدهم، وسوف يعطيك ما تريد مقابل هذا المبلغ

_ قبضت على ذراعه في عنف وقلت:

_ أحقاً ما تقول، أم أنك تهزأ بي؟

أشار لكوب شاي أمام أحد الزبائن وأقسم بمائه أنه لا يكذب..

_ ومن هذا الذي سأذهب له؟!

وصف لي الطريق وأخبرني أن أذهب إلى صديق له يدعى عاصم في المقابر وسوف يعطيني ما أريد الليلة، ثم ابتسم لي ونهض من جوارى ليجلس بجوار عباس الذي كان شارداً لدرجة غريبة.. نهضت على الفور وبدأت أركض كالمجنون ناحية المقابر..

كنت منتشياً مسروراً لدرجة لا تصدق، هل أعتذر فقط للزملاء أم أشتري الهيكل وأخبرهم أنه فقط بمائة وخمسون ألفاً وأخذ المال لنفسى؟؟ لا يهم، فلنرى هذا الأمر لاحقاً..

وصلت للمقابر، وركضت موازياً لها حتى وصلت لغرفة صغيرة، طرقت الباب في رفق، فخرج لي شاباً وسيماً، ابتسم لي وسألني عن سبب الزيارة فأخبرته، دعاني للدخول وذهب ليعد لي كوب من الشاي، بعد دقائق طرقت الباب فخرج عاصم وعاد بصحبته امرأة، لم أتبين وجهها بسبب الإضاءة الضعيفة في الغرفة، جلست جوارى ولكني لم أتطلع لوجهها بسبب توتري وخوفي، لحظات وعاد الباب يطرق من جديد ليفتح عاصم الباب ويعود بصحبته شاب، جلس الشاب بجوارنا وأيضاً لم أتبين وجهه بسبب الإضاءة الضعيفة، وهنا جلس عاصم قبالتنا وقال:

_ مرحبا بكم جميعاً

الكاتب والقارئ..

هيبه..

أيها القارئ..

نعم نعم أنا من يناديك..

أنا من يهمس لك.. هل تسمع همساتي؟!

أعرف أنك تسمعي يا صديقي..

هيا تعال..

تتساءل إلى أين؟!

لا تسأل حتى لا أدفئك حيا..

هل تراها؟!

إنها المقابر.. مساكن الموتى..

هل ترى الضباب؟!

ضباب ثقيل مخيف.. يحوم من حولها كحارس الأموات..

نحن الآن نسير ناحية المقابر البحرية.. ها هي الشواهد تتراءى
لنا، ألا تذكر بقرية ثمود بعد الهلاك، ألا ترى الشواهد وكأنها
أعجاز نخل خاوية، قلبك ينقبض، يدق بعنف، يضطرب..

أعرف هذا، ولكنك لا تملك لنفسك شيئا، أنا هنا من يقود دفنة
السفينة وأنت لست سوى راكب مسكين..

وصلنا..

ها هي الشواهد تقف من حولنا كالجبابرة، هل ترى أعينها وهي
تحملق بنا في ثبات مخيف؟!

لا تنظر أبدا من حولك حتى لا تراهم..

تتساءل من؟!

قرناء الموتى يا صديقي يهيمنون في الحارات دون رقيب، الضباب
كثيف أترى؟!

يقودنا ناحية المجهول، يخترق أجسامنا وعقولنا، لا تستسلم له
حتى لا تفقد عقلك، الهمسات تتصاعد من حولنا، هل تسمعها؟!

إنها تدعونا للعشاء، تدعونا لندخل إلى المقبرة.. هل ندلف؟!

ترتجف أنت..

لا تقلق لن أتركك لهم.. هناك أعين تنظر لنا من خلال مداخل
شواهد القبور، أعين حمراء بلون الدم، هناك همسات مخيفة،
الرياح تشتد وتكاد تعصف بنا، أغصان الأشجار تتحرك بعنف
فترسم خيالات مفزعة على الشواهد وكأنها أشباح قادمة من قلب
الجحيم..

النجاة يا الله..

القمر مكتمل ينظر لنا في إشفاق، لا تقلق لن تموت هنا على
الأقل..

توقفت الهمسات تماماً، الآن صمت تام، صمت رهيب، دقات قلبك
مسموعة وخطواتك تشبه قرع الطبول، تتهشم أوراق الأشجار
أسفل منك وتئن كالموتى..

هيا جد السير حتى نصل فقد أوشكنا، القمر يلقي بظلاله فيزيد
المكان فزعا، هيا سنصل بعد حارتين فقط..

يا للمصيبة، أسمع؟!

صوت زمجرة مخيفة يأتي من آخر الحارة..

إنه كلب ضخم يزوم في شراسة، أسود بلون الليل ضخم بحجم
الثور، عينيه تلمع كنجم في قلب الصحراء، إنه يذبش بقدميه في
التراب بعنف، الزبد يتساقط من فمه وأنيابه بارزة..

" القبر "

أنا بيت الوحشة..

أنا بيت الظلمة..

أنا بيت الدود..

أنا بيت التراب..

" لا دخان بدون نار، ولا ربح بدون مخاطرة "

هكذا بدأ عاصم حديثه، ثم نهض ليضغط على زر صغير في الحائط فازدادت إضاءة الغرفة بفعل مصباح صغير كان معلقا على الحائط، وظهرت الوجوه بوضوح، واقشعرت الأبدان واضطربت القلوب، علياء لطمت خدها ثم نظرت إلى الأرض في خوف، وعمر اضطرب بشدة وراح يعدل من وضع عويناته في توتر شديد، أما عباس فقد تعرق وجهه وازداد احمرارا..

ابتسم عاصم في خبث ثم تابع:

_ بالطبع تعرفون بعضكم، فالبلدة صغيرة والناس تعرف بعضها البعض.

صمت تام لا يشوبه شيء، شعور النشوة والقوة يتدفق في عروق عاصم، يشعر أنه يملك زمامهم ويتحكم بهم تحكماً تاماً.. يرى ضعفهم يظهر جلياً في ملامحهم فيزداد شعوره بالسطوة والقوة.. تابع في هدوء:

_ لا ينبغي أن تخجلون من بعضكم، فكلكم مضطر لفعل ما يتوقف عليه حياته غالباً، وشرطي الوحيد لنبدأ على الفور ألا تخجلوا من إظهار حقيقتكم أمام الملام

تطلعت له الوجوه في ترقب وحيرة وتضرع، فتابع:

_ علياء قد جاءت لتدفن عمل في أحد القبور لعلها تحصل على زوج يوماً ما

التفت لها كلا من عمر وعباس في دهشة فدفنت وجهها بين كفيها وراحت تهتز في عنف وقد فقدت القدرة على جسدها..

_ عمر قد جاء ليسرق هيكل عظمي من أحد القبور

خلع عمر نظارته وراح يحرق في الحائط المواجه والدموع تكاد أن تسقط من عينيه..

_ عباس قد جاء ليحصل على بعض المخدرات ليتعاطاها

ازداد تعرق عباس بشدة وراح يجفف عرقه بمنديل في يده..

_ لكي تحصلون على ما تريدون يجب ألا تخجلوا من حقيقتكم وأن تعترفوا أمام بعضكم أنكم أشرار، وأنكم على استعداد تام لإتمام الأمر مهما كان، وسأترككم لدقيقة حتى تجيبوني، فإما الانسحاب، أو استكمال الأمر

كادت عفاف أن تنطق ولكنه استوقفها بيده وقال:

_ هناك شيء أخير، أعدكم ألا يعرف أحداً آخر بالأمر، وأن يتم لكل منكم مراده على أكمل وجه إن اعترفتم الآن.

صمت رهيب حلق في الأجواء وراح يراقب الجميع في ترقب، العقول تشتعل من التفكير والذكريات تتدفق في الأذهان بلا رقيب..

" عانس "

" الفقير "

" ليتنا أنجبنا ثلاث بنات "

" لا أتزوج راهبات "

" يا بني الحمل قد فاق الحد، اترك الجامعة لنأكل "

" لا فائدة منك، أنت عار علينا "

_ أوافق

_ لا بل ردد ورائي

_ أنا الحلقة المفرغة والضعيفة أعترف أمام الحضور أن بي نزعة شريرة، وأنني سأتم الأمر حتى النهاية بكامل إرادتي وحتى الولوج في القبر

كانت الكلمات عجيبة، ولكن الحزن الكامن به والشوق للنجاة والحصول على ما يريده جعله يردد الكلمات.. ابتسم عاصم ابتسامة ساحرة ونظر لعلياء فأومأت برأسها أن نعم فقال:

_ ردي معي، أقر أنا العذراء أن الشر قد تمكن مني، وأنني سأتم الأمر مهما كان وحتى الولوج في القبر

رددت ما قاله ودموعها تسابقها، ثم نظر لعباس فأوماً برأسه على الفور فقال:

_ ردد معي، أقر أنا الحلقة القوية المتينة أن بي نزعة شريرة، وأن هذا يروق لي بشدة وأعترف بأنني سأتم الأمر وحتى الولوج في القبر

ردد عباس الكلمات في رهبة شديدة وما أن أتمها حتى نهض عاصم سريعاً وقال:

_ هنيئاً لكم، فغداً سيحصل كل منكم على مراده، سيطرق
العرسان باب بيتكم ليل نهار يا علياء، وستحصل يا عمر على
هيكل كامل وتخرج من كليتك، وأنت يا عباس ستحصل على
مخدر نادر سيبحر بك نحو عوالم من المتعة الأبدية
التمعت الأعين في جشع وكلّ يمني نفسه بالحصول على مراده،
وهنا قال عباس:

_ هيا بنا

تحدث عمر وهو يعدل من وضع عويناته:

_ إلى أين؟!

نظر له عاصم بعين بثت فيه كل خوف الدنيا وقال بصوت مخيف:

_ قبر عويس العماني

ها هم يسرون كموكب من مواكب الشياطين وسط ظلمة الليل
القاتنة وأشعة القمر الخجولة، لا ينقص الموكب سوى مزيكاً
فرانكش تاين حتى تترقب تحولهم إلى مصاصين دماء أو
مستذئبين..

يسير عاصم بوجهه الوسيم وابتسامته الغامضة وعن يمينه عباس بجسده القوي الممشوق وعن يساره عمر بعينيه الغائرة أسفل العوينات المرتجفة ومن خلفهم تسير علياء بردائها الأسود الذي يزحف من خلفها، فتظهر وكأنها ابنة الشيطان.. الصمت يلهم من كل جانب، والموتى يتساءلون في حيرة عن سبب الزيارة الثقيلة هذه؟..

بعد دقائق من الخوف والقلق والتفكير اتجه عاصم ناحية حارة صغيرة لا تكاد تظهر من شدة الظلمة التي تخرج منها وضيق مساحتها، تبعه الباقيون في رهبة وخضوع، كانت الأضرحة في تلك الحارة شديدة القدم وكأنها مقابر أبناء آدم المقربين، التراب يغطيها والسواد يعلوها والحوائط تكاد أن تسقط بفعل عوامل التعرية.. عيون الأضرحة كانت شبه مفتوحة " عيون تعني الباب الصغير المؤدي لداخل القبر "

كانت علياء تنظر لم داخل القبور في خوف جم، إن القبور التي تشبه الغرف على سطح الأرض ولها مداخل صغيرة كالأبواب لهي مفزعة أكثر من القبور التي تحفر في باطن الأرض..

بعد دقيقة من السير البطيء المهيب وصلوا إلى نهاية الحارة وكانت المفاجأة، قبر في غاية الجمال والبهاء، لم يعوا كيف يتواجد مثله وسط هذا الخراب.. كان الضريح محاط بسياح حديدي وبوابة صغيرة، أخرج عاصم مفتاحاً كان حول عنقه وزج به في الثقب

الصغير فانفتح الباب مصدرا صريرا مفزعا شهقت لأجله علياء وترقب عمر استيقاظ الموتى وزجرهم لمن يقلق راحتهم.. انفتح الباب ودلفوا منه ليظهر الضريح أمامهم.. غرفة كبيرة لها ثلاثة أبواب صغيرة مربعة الشكل، ترتفع نصف متر عن الأرض، كل باب يقودك إلى قبر صغير، على ما يبدو أن البناء مقسم لثلاثة قبور، لكل قبر بابه.. أما عن البناء فكان تحفة معمارية بلونه الذهبي وتلك النقوش العجيبة التي تزين الجدار، نقوش لوحوش عجيبة الشكل تزوم في شراسة ومن حولهم كان البشر عراة يزحفون على الأرض، ما هذا العبث؟!!

هكذا تساءل الثلاثة في أنفسهم، وإن لم يجروا أحدهم أن يبوح بالسؤال، نظرات علياء الوجلة تمتزج بنظرات عمر المرتعبة، وهنا تحدث عاصم بهدوء وقال:

_ هنا مرادكم وسعادتكم

قالها وعينيه تلمعان بقوة جعلتهم ينتفضون كالطيور المبتلة.. تابع حديثه وهو يقترب من أول باب ثم يفتحه بمفتاح آخر:

_ هنا قد دفنت المخدر الذي لم يخرج للبشر بعد، ستطوف العوالم السبع به وترى ما لم يراه أحد يا عباس هيا ادخل لتحصل عليه أيها القوي

اضطرب عباس وقد غادرته الرغبة في الحصول على شيء ولكن نظرات عاصم المخيفة جعلته يرضخ للأمر بدون جدال ثم يشعل إضاءة هاتفه ويدلف بخطى بطيئة داخل القبر.. ثم فتح عاصم الباب الثاني وقال:

_ هنا يرقد الميت يا علياء فاذهبي لتنالي مرادك

تحدثت بصوت مبحوح من فرط الرعب وقالت:

_ ما الذي ينبغي عليّ فعله؟

أخرج من حزامه خنجرًا حادًا وناولها إياه فأخذته بخضوع تام وقال:

_ تمزقين جلد الميت بهذا الخنجر وتضعين بداخل الجسد ما أعطاك إياه الشيخ، ثم تخرجين، وبهذا تدفينين النحس وسوء الحظ للأبد لتتحرر طاقة الموتى لتجلب لك كل الخير

شهقت بجزع حينما علمت بما ستفعله وقالت برعب:

_ لا، لا أريد أرجوك سأرجع ولن أخبر أحدا بما حدث

نظر لها نظرة جمدت الدم في عروقها وجعلت عمر يرتجف من قمة رأسه وحتى أخمص قدميه وقال:

_ نحن الآن في حضرة الضريح، ولا أظن أنك قادرة على الانسحاب، حتى جثتك لن تخرج إن لم تكلمي ما بدأت

نظرت بجزع لعمر لعله يمدّها بأية قوة ولكنه كان خائفا بشدة فنظر أرضا وقد شعر أن رجولته قد سقطت إلى الأبد، فمن هذا الذي تستعطفه امرأة لينجّيها ويتخلّى عنها..

دفعها عاصم برفق ناحية الباب الثاني، فراحت تسير كالطفل ذو الأعوام الثلاثة ناحية الباب.. تركها وفتح الباب الثالث وقال:

_ هنا ستجد الهيكل الذي سيساعدك لتتخرج وتكون أعظم طبيب على وجه الأرض.

تيقن عمر أنه لا مهرب من عاصم سوى القبر، وأنه لا سبيل للنجاة فانصاع له، ولكنه تساءل بصوت مضطرب:

_ وكيف أحمله؟!

أخرج عاصم حقيبة فارغة من حقيبته الكبيرة والتي لم يجروء أحدهم أن يسأل عما تحتويه أبدا وناولها إياها..

التقطها عمر وراح يسير ناحية القبر وأعين عاصم تنظر لهم فتبث فيهم كل رعب الدنيا..

كان عباس قد دلف فعلا إلى القبر وراح يبحث في الأرض الرملية عن المخدر، بينما علياء كانت قد خطت بقدمها داخل القبر المظلم، وعمر كان قد زج بجسده عبر الباب الصغير وسقط على الأرض الرملية متأوها..

كان كل منهم يمني نفسه بانتهاء الأمر سريعاً ثم الخروج من هذا الكابوس.. ولكن ليت الأمور تؤخذ بالتمني، فما إن استقروا بداخل القبور الثلاثة حتى أغلقت الأبواب من خلفهم بدوي هائل جعل أفئدتهم ترتطم بحلوقهم.. ومن الخارج سمعوا ضحكات عاصم تشق سكون الليل والظلام..

..9

والقبور..

وأدركوا أنهم قد وقعوا في شرك الشيطان الى الأبد..

هاتفه يرن فيجيب على الفور بابتسامة لزجة..

_ صباح الفل يا عاصم

_ اليوم أريد اثنين

_ وكيف أتيك بهم؟

_ ما أكثر العاطلين على المقهى يا مسعود

_ هل من شروط؟

_ نعم قوي البنية وهزيل

_ سأحاول

_ لا تقل سأحاول

_ لا أجزم أنني سأجد المراد

_ حتما ستجد عاطل يريد بعض المخدر أو مديون يريد مالا أو

ضعيف يريد أن يرد حقا ضائعاً

_ نعم هم كثيرون على المقهى

_ حسنا اختر اثنين، أحدهما قوي البنيان، والآخر هزيل الجسد من

بينهما، وساعدهما عن طريقي وأرسلهم لي، ولا تكل ولا تمل

حتى ترسلهم الليلة

_ ولكن لِمَ الليلة؟

_ لا تتساءل يا مسعود حتى لا أغضب عليك، وكذلك هم

_ وما نصيبي من هذا؟

_ لك الكثير والكثير

حتى زرع المقابر

أحمد هرقاوي

_ سأرسلك إلى صديقي عاصم وسيعطيك ما تريد مجانًا، فقط
قل له أنك من طرفي

_ وأين أجد عاصم هذا؟

قلتها بنهم وجشع فأجاب بصوت بطيء جعلني أرتجف بشدة..

_ في المقابر البحرية

وصف لي الطريق وأخبرني أن أذهب إلى صديق له يدعى عاصم
في المقابر وسوف يعطيني ما أريد الليلة، ثم ابتسم لي ونهض
من جواري ليجلس بجوار عباس الذي كان شاردًا لدرجة غريبة..
نهضت على الفور وبدأت أركض كالمجنون ناحية المقابر..

هاتفها يرن، فتنظر للهاتف بأعين تشبه أعين الخفافيش وتجيب
بابتسامة واسعة:

_ كيف حالك يا ابن أختي؟

_ كيف حالك يا خالتي؟

_ هل من طلب؟

_ نعم، أريد عذراء الليلة

_ ما أكثرهم يترددون علينا في كل الأوقات

_ حسنا، الليلة يا خالة، وبلغني تحياتي للشيخ عدنان

_ حسنا، الليلة يا عاصم

سأدلكم على من يساعدكم وييسر لكم الأمر كله

_ من يا خالة؟

_ شاب يدعى عاصم، يقطن بالمقابر البحرية، اذهبن له وارجعي

أنتِ لأنه لن يوافق بوجودك وسوف يساعدها

_ شكرا يا خالة

" عباس "

كنت أشعر بخوف لم أشعر به من قبل وأنا أقترب من باب القبر،
 كنت أشعر بأنه يسلب إرادتي، لم تسعفني قوتي بأن أرفض أمره،
 لقد شعرت بخنوع شديد وكأنني عبد من عبيد ملكٍ باطش.. دلفت
 بكل حذر إلى القبر، ولامست قدمي رمال الأرض في توجس،
 تحسست الرمال بيدي وأنا أضع الهاتف بغمي لينير مصباحه ما
 أمامي، رحت أنبش في الرمال سريعاً وأنا أنزع لأفكر فيما سأجده
 وكم النشوة التي سأحصل عليها..

وبدون مقدمات سمعت صوتاً عنيفاً من خلفي، فالتفت له في فزع
 لأرى باب القبر وقد أغلق تماماً..

ومن الخارج كانت ضحكات عاصم تصلني فتقع في نفسي وقع
 الصاعقة، كانت أشد رعباً من كل شيء.. إنه سيفعل بنا شيئاً
 مخيفاً بلا شك..

صمت رهيب ولا شيء، صمت ما قبل خلق السماوات والأرض،
 صمت لم تسمع عنه من قبل، بدأ جسدي يرتجف وقدرتي
 تخذلني، تراجعت سريعاً ورحت أطرق باب القبر وأحاول أن أفتحه
 بكل السبل، ولكنه كان كالصخرة الصماء لا يتزحزح من مكانه..
 وهنا سمعت صوت صرخات امرأة وصياح شباب.. حتماً هما علياء
 وعمر، فليذهبوا إلى الجحيم، لا يهمني..

وبدأت أسمع صوت احتكاك من خلفي، استدرت وقد تصلب شعر جسدي كله ورحت أبحث بالمصباح عن مصدر الصوت.. لحظات وعاد الصوت من ركن القبر البعيد، شهقت ثانية وسلطت الضوء عليه فلم أجد شيئاً، ثم عاد الصوت من الجهة المقابلة..

استمر الأمر لثواني وأنا أنتفض وأحرك ضوء الهاتف ناحية مصدر الصوت.. ثم رأيت الرمال تتحرك في منتصف القبر بكل عنف.. اتسعت عيناى فرعاً وأنا أراقب هذا الشيء الذي بدأ يخرج من تحت الأرض.. كانت دودة عملاقة لها أذرع كثيرة.. تشبه أم أربعة وأربعين.. كانت بحجمي تقريبا.. التصقت بالباب وأنا أنتفض وأنتفض، وأراقبها، وقد بدأ قلبي يلامس جمجمتي من شدة فرعه.. العرق ينهمر عن جبينى بفعل الحرارة العاتية التي صاحبت وجود تلك الحشرة التي خرجت تماما من الأرض وراحت تلتفت يمنة ويسرة حتى وقعت عينيها عليّ.. وأدركت أنه الموت بلا شك.. الموت بوسيلة بشعة لم أتخيلها في حياتي..

كانت تحمل في كل ذراع زجاجة صغيرة، أو ربما كانت أشياء تشبه القوارير ملتصقة بكل طرف من أطرافها.. لم أعي الأمر، فرحت وأصرخ وأصرخ وهي تقترب منى، ونصفها العلوي منتصباً والسفلي يصدر صوتاً مقرزراً جراء احتكاك أقدامها الكثيرة أو أذرعها بالأرض.. توقفت على بعد نصف متر منى وراح نصفها العلوي يقترب منى وذراعيها الأماميتين يتحركان ناحية وجهي..

صحت في تقزز ورعب وأنا أبتعد بوجهي عنها يمنة ويسرة،
وأنفاسي تكاد أن تتوقف من فرط الرعب.. وهنا سمعت صوت
فحيح مخيف.. فحيح وكأنه صوت ألف ألف أفعى..

" جئنا لتسكر أيها العبد الفاني، فهلم إليّ لأسكرك سكرة لا تفيق
منها أبدا "

وقبل أن أستوعب ما قيل انفجرت كل القوارير الملتصقة بأذرعها
وخرج منها سائل أسود راح ينهمر على وجهي كشلالات نياجرا..
وقبل أن أصرخ كان ذراعيها يدلغان داخل فمي ليمنعه من الإغلاق
لأتجرع الكثير والكثير من السائل.. كان ساخناً كالحمم، لزجاً ثقيلاً
كالعسل.. نزل في جوفي وشعرت بكياني كله يرتج كفوّهة بركان
يوشك على الانفجار.. عقلي يذوب في محيط من الخبال والأوهام
وقلبي توقفت دقاته، وجسدي قد تحول إلى آلة حديدية.

وسقطت أرضاً لتظلم الدنيا كلها.. وانطلق السائل ليحتل جسدي
كله.. وطافت بي مئات الصور العجيبة.. كنت أرى أناس يسكرون
بكل الهيئات والملابس التي رأيتها في حياتي والتي لم أرى مثلها..
أرى جمع من العرب يسكرون وهم يضحكون في نشوة ثم جمع
من أشباه عراة يسكرون ثم أناس يشبهون أهل القبائل الإفريقية
وهكذا..

ظل الأمر على تلك الحال كثيرا حتى فتحت عيني لأرى ما لم أراه
في حياتي.. أنا في قلب الجحيم نفسه.. وإن لم يكن ه ذا الجحيم
فكيف يكون إذا؟!!

كل شيء يصطبغ باللون الأحمر الدموي..

الأرض..

السماء..

الجبال..

المئات من الشياطين بشعة الخلقة يهيمون ويصرخون بأصوات
هي البشاعة نفسها..

رحت أسير كالمخبول، السكران، رأسي وكأنها تزن ما يزنه الجبل،
أشعر بالأرض تنزلق من أسفل قدمي ودوار عنيف يفتك بوعيي،
ثم رأيت جموعا من الناس.. نساء ورجال.. ملابسهم متباينة
وهيئاتهم مختلفة، وكأنك في نقطة تلاقي الأزمنة.. منهم من
يرتدي رداء يشبه ما كانوا يرتدوه في العصور الوسطى ومنهم
من يرتدي بنطال وقميص ومنهم من يرتدي برقع ومنهم من
ترتدي رداء من جلد النمر.. ببساطة فالأمر واضح، إنهم من أزمنة
مختلفة.. كانوا يتخبطون كالزومبي وبيد كل منهم زجاجة يتجرع

منها نفس السائل الذي شربت منه.. كنت أرى الألم والفرز
والدموع والصراخ.. إنهم يتعذبون، يتألمون بشدة..

الدوار يشتد ورأسي تزداد ثقلاً.. هرولت كالأبله بلا وجهة حتى
رأيت غباراً يغطي الأفق.. كانوا فرساناً، لا بل كانوا شياطين
تمطي وحوشاً تسير على أربع كالخيل.. كانوا يحملون أسواطاً
من نيران ملتهبة.. وبدأوا يجلدون الناس من على وحوشهم..
وسالت الدماء من مواضع الجلد وارتفعت أصوات الألم والفرز..
وجاءني صوتاً لم أعي من أين يأتي وقال لي:

" اشرب من زجاجتك حتى لا يعذبوك "

وفي لمح البصر رأيت زجاجة من أمامي، التقطتها وتجرعت منها،
كانت حمماً ملتهبةً، كانت تقطع في أمعائي وتصهر ما في بطني،
واشتد الدوار حتى تقيأت وتقيأت، ورأيت أحدهم يقترب مني..
فتجرعت من جديد حتى لا أجلد، واشتد الدوار وثقلت رأسي
وصرخت بطني محترقة..

وتقيأت..

ثم تجرعت من جديد.. وهاجمني الدوار من جديد وتقيأت من
جديد.. وثقلت رأسي حتى كادت تزن حمل الدنيا كلها، وسرت
أتخبط، أسقط وأنهض.. وتقيأت.. وتجرعت قبل أن يقترب أحدهم
مني..

الألم أصبح لا يطاق والدوار كان مميتاً فسقطت أرضاً ولم أترجع..
وأفقت صارخاً حينما ضربني شيطان بسوطه.. لقد كاد السوط أن
يقسمني إلى نصفين من قوته.. لقد مزق لحم صدري كله
وظهرت عظمة القفص للعيان.. كانت الدماء تنزف والنار تأكل في
صدري.. شعور لا يمكن وصفه كما لا يمكن وصف شعور أهل
النار..

وتجرعت لأنه أهون من الجلد.. وتقيأت وسقطت ونهضت.. واشتد
الدوار والغثيان.. وأدركت حجم الفاجعة..

المصيبة..

الكارثة..

الزجاجة لا تنضب أبدا.. وهنا سمعت الصوت يقول:

" ستبقى هكذا حتى ينتهي عمرك "

وصرخت صرخة مزقت أحبال صوتي كلها..

" علياء "

كنت فزعة من كل شيء، كل ما كان حولي كان يثير خوفي وخاصة عاصم، هذا الوسيم لدرجة تشعرك بأنه لا ينتمي للبشر، كان وجوده طاغ وكنت أشعر انه متمكن من جوارحي كلها، كنت أعلم انه يجب أن أطيعه مهما كان ولا أعصي له أمرا حتى لو طلب المستحيل..

وكان المستحيل حينما دفعني برفق لدخول القبر، كنت أعي أنه مجرد تحذير وما هو قادم أدهى وأمر، وكنت أعلم يقينا أن حال عمر وعباس ليس بأفضل مني وأنه لن يزود عني أحدهم أبدا..

وبدأت أتقدم لفعل المستحيل، امرأة شابة لا تطيق رؤية الدم مجبورة لكي تمزق جسد جثة وتضع به لفافة سحرية.. كنت أعلم أنني قد كفرت وأن الله قد تولى عني، وأنني الآن في حضرة كل شياطين الجن، وأنهم سيتمكنون مني عاجلا أم آجلا..

دلقت من فتحة القبر لأرى ما جعل قلبي يمزق أضلعي، الجثة هناك في ركن القبر، مكفنة بالأبيض، أشعر أنها تنتظر أحدهم فقط ليهمس حتى تفيق وتنهض..

دلقت بقدمي إلى القبر المظلم الذي راح يلتهم ضوء المصباح في نهم.. أغمضت عيني وتقدمت ناحية الجثة الساكنة، كانت ترقد في هدوء وكأنها ملاك قرر أن يستريح من العبادة..

يا ترى ما الذي أستحقه وأنا قد انتهكت حرمة الأموات..

كادت قدماي أن تزل مرات كثيرة وأنا أسير مغمضة العينين خطوة تلو الخطوة.. جلست على رقبتى وقبضت على الخنجر بكل قوتي وكأنه الأمان من كل شيء، كان قلبي وقتها قد وصل لمرحلة من السرعة تستحق أن تسجل في موسوعة جينيس للأرقام القياسية.. جسدي راح ينتفض كل ثوان وقد فقدت قدرتي عليه تماما.. اقتربت بالخنجر من الكفن فمزقته بيد متصلبة، واقترب نصل الخنجر من صدر الجثة وما إن لامسها حتى سمعت آهة خافتة تصدر من الجثة، وقبل أن أصعق من هول الفرع حدث ما هو أشد هولاً حينما أغلق باب القبر من خلفي..

كانت صدمة عاتية، نزلت عليّ كما نزل العذاب على عاد وثمرود.. توقف قلبي عن الخفقان، وأنفاسي عن الخروج، وتصلبت مكاني لا أقدر على أية حركة، لقد أصبحت تمثالا لامرأة بالغة.. ولكنها لم تفعل..

تلك الجثة الملعونة، كان الهاتف بيدي مسلطاً على الجثة التي تحركت بعنف لتمزق الكفن الأبيض.. وبالفعل فعلتها وخرجت يدها من الكفن، كانت زرقاء بزرقة الموت بأظافرها التي تخطت أظافر الشياطين في بشاعتها.. وضعت يدها على موضع الصدر،

نفس المكان الذي لامسه نصل الخنجر ثم تأوهت بألم من جديد،
ثم بدأت مادة سائلة تشبه الصديد تنزف من موضع الصدر.. كل
هذا وأنا أقف مكاني وأعيني قد احتلت وجهي بأكمله من شدة
اتساعها..

تحركت الجثة ثانية بعنف لتخرج يدها الثانية بعد أن مزقت
الكفن.. بدأت أرجو جسدي ليتحرك، وبدأ يستجيب بصعوبة بالغة،
تراجعت خطوة ثم ثانية و....

وتمزق الكفن كله بصوت بث فزع الكون كله في نفسي..

وظهر الوجه، الوجه الأزرق المنتفخ الذي رعت فيه الديدان وقد
اخترقت حدقتي العين وراحت تتحرك بداخلهما بكل يسر.. تراجعت
ثانية وشهقاتي بدأت ترتفع رويدا رويدا، أنفاسي تنازع لتخرج
فيصاحبها صوت حشجة عجيب يخرج من حلقي..

ونفضت الجثة ومن فوقها بقايا بالية من الكفن، مجرد شرائط لا
تخفي شيئا..

ونظرت نحوي بأعين فارغة وإن التفتت الديدان ووقفت بمجرى
العين لتتنظر لي هي الأخرى..

وبأقدام متآكلة يظهر عظمها، تقدمت الجثة ناحيتي.. كل هذا وأنا
لا أفعل شيئاً سوى أنني أشهق بصوت يكاد أن يستيقظ سكان
القبور بسببه..

وهنا سمعت صوت مخيف، غليظ، خشن..

صوت جعل جسدي يتخشب تماما..

" أيتها العاهرة جئت إلينا لتنعمي بما يهبه الرجل للمرأة ونعدك
أننا سنهيك أكثر من هذا "

وانقضت الجثة كالبرق على جسدي.. انقضت كنسر جارح على
سمكة نافقة لا حول لها ولا قوة.. حملني من مكاني وطرحني
أرضاً، ثم استلقى من فوقي، كانت رائحته قاتلة من فرط
بشاعتها وجسده ملفوف بشرائط من الديدان التي تساقطت من
فوقي كالمطر، كنت أتلوى كمن مسه وابل من صرع، وكانت قوته
عاتية إذ بدأ ينوح بصوته قائلاً..

" سأهيك غلاماً لتصيري أمّاً فتمتعي "

فكرة أن تغتصب فتاة أو امرأة هي فكرة مرعبة بالنسبة لمن
تتخيلها فما بالك باغتصاب من قبل جثة متحللة في قلب قبر
مظلم.. مزق ملابسني بعنف فظهرت عورتني، كنت أئن أسفل منه
وقد بلغ مني الإجهاد بسبب المقاومة مبلغاً كبيراً جعلني قاب

قوسين أو أدنى من السقوط في غيبوبة، وستكون كارثة لو فقدت وعيي بين يدين جثة مثل هذه.. أخرجت يدي من تحته وأنا في حالة قد تخطت حالات الفزع المهول وغرزت أصابعي في عينيه، صرخت الجثة كصراخ تنين أسطوري ومن مكان العينين تساقطت الديدان على وجهي فرحت أصرخ وأصرخ وأنا ألمم ما تبقى من جسدي، وبدأت أزحف مبتعدة، كان يزوم من خلفي وهو يمسح جسده بالتراب وأنا أزحف بوهن الدنيا كله.. ولكن هيهات أن ينتهي الأمر بتلك السهولة، لقد نهض من جديد وقبض على مؤخرة رأسي بقبضة من فولاذ، ثم ضرب برأسي الأرض بكل عنف، كانت مجرد رمال ولكنني شعرت بعقلي يرتج وكأن زلازلا عاتيا قد أصابه، ثم هوى بقبضة من عظام على أنفي فانفجرت منه الدماء، كان الظلام وقتها يزوم ويهاجم كي أسقط في غيبوبة ليس لها قرار، ثم حملني وهوى بي ناحية الجدار، فصرخت كل عظمة من عظامي.. سقطت أرضا وقد امتزج ألمي بفزعي، فأنتج شعورا لا أرضاه لأحد من العالمين.. ثم سار ناحيتي ببطء رهيب وتحدث بصوته الأجش:

" أعشق من تقاوم وتدعي العفة وهي من داخلها عاهرة تمني نفسها كل ليلة ببعض المتعة، تعالي إليّ لأمتعك وأهبك ما لم يكن واهبك إياه أي رجل من بني البشر "

ثم انقض من جديد وقد استسلمت له تماماً، تقيأت من شدة الإجهاد والاختناق وهو يمزق جسدي ويخمشه بأظافره، بكيت بدموع من دم وراحت يدي تنتفض كمن مستها صاعقة السماء، وانتفض عقلي كله حينما لامست يدي مقبض الخنجر، كان وقتها يتهياً لانتهاكي كاملاً، لا أعلم كيف جاء الخنجر إلى جواربي ولكن كل ما أعلمه أنني قبضت عليه بقبضة حديدية ثم طعنته في عينيه اليمنى، صرخ صراخاً يدمي القلب وبعباً وراح يترنح متراجعا والصيد قد سال من موضع الطعنة، ولكني لم أتركه، لقد كانت صدمتي تفوق كل صدمة وتنوء من هول الموقف، انقضضت عليه كنمرة تحمي أطفالها وهي في سكرات الموت، وهل هناك أعلى من شرفي لأقاتل لأجله ولو كان الجاني مجرد جثة عفنة..

زئرت في شراسة ورحت أطعنه وأنا في حالة من الصدمة..

ضحكت..

بكيت..

صرخت..

ابتسمت..

كل هذا وأنا أمزق جسده لأشلاء..

طعنته فوق المائة طعنة حتى تفتت جسده كاللحم المهترئ، ثم سقطت بجواره كالصنم لا أقوى على شيء.. لحظة واحدة وكنت أغرق في غيبوبة ليس لها قرار..

لحظة واحدة كانت الفاصلة لأستيقظ من جديد لأجد نفسي في مكان عجيب، إنها متاهة واسعة، هائلة، الجدران عالية كناطحات الجبال.. مصقولة كالثلج بلونها الأسود الفاحم.. لم تكن هناك سماء لأنها كانت لها سقف عال..

سرت متوجسة..

خائفة..

مرتعبة..

فزعة..

وأنا أشعر أن ما حدث لم يكن سوى مجرد بداية..

لحظات وسمعت أصواتا تشبه أصوات الزومبي.. هرولت مبتعدة وإن لم أحدد من أين يأتي الصوت.. سرت بمحاذاة الجدار ليظهر لي طريقين، هرولت ناحية اليسار ليظهر لي مفترق طرق له خمسة

اتجاهات، اتجهت ناحية الأوسط ليلتف بي الطريق فأجد نفسي
بمفترق طرق من جديد..

ومن خلفي كانت الأصوات ترتفع وترتفع..

شهقت فزعة حينما وجدت جثة جديدة متحللة وقد ظهرت أمامي،
اتخذت مفترق طرق جديد لأجد جثة جديدة، تراجع سريعاً لأجد
جثة ثالثة تسد الطريق، اتجهت يميناً فوجدت ثلاث من الجثث
يزومون كما الحيوانات.. ركضت كما لم أركض من قبل حتى
وصلت لحائط ضخم يسد الطريق، التفت لأرجع فإذا بي أفجأ
بعشرة من الجثث يسدون الطريق من أمامي، تراجع والدموع
تنهمر كما الشلال من عيني، دموع الخوف والوحدة..

وقفت وظهري للحائط أنظر إلى نهايتي المحتومة.. تذكرت وقتها
الخنجر، ليس هناك سواه من حل، سوف أقتل نفسي لأنجو، ولكن
الأمنية تبخرت حينما لم أجده معي.. وأحاطت بي الجثث ولم أسمع
سوى صوتاً واحداً وكأنه قادم من الأرض السابعة..

" سوف نمرح معاً حتى تنجبين لنا أطفالاً يملأون هذا المكان،
سوف نمرح حتى تلفظين أنفاسك الأخيرة "

وأدركت أن ما فات كان غيث من فيض، وأن العذاب الحقيقي قد
بدأ للتو..

" عمر "

أنا ضعيف، يجب أن أعترف بهذا

جبان، يجب أن أقر بهذا

ضعيف الشخصية، يجب أن أخبركم بهذا

لا أعرف هل استنتجت هذا أم لا ولكنها الحقيقة، لقد أمرني كما
يأمر السادة العبيد ولم أجرؤ على الرفض، ومن الطموح ما قتل،
أفعل جرماً كهذا لأجل طموحي؟!

حقاً أنا معتوه..

كانت قدمي ثقيلتان لا تقدران على حملي، كنت كالجبل الضخم
ثقيل وقدمي كانت ضعيفة، ما إن وصلت لمداخل القبر حتى تهاوى
جسدي فسقطت داخلا، سقطت فوق الرمال والظلام.. كان عقلي
يشتعل من التفكير، وقلبي ينزف دما ليتمالك حاله.. وبدون
مقدمات سمعت هديرا من خلفي وإذ بباب القبر يغلق من خلفي..
لم أنهض من سقطتي وقد تخشب جسدي وانتصب شعر رأسي
كله وربما صبغه البياض أيضا.. كان الهاتف ملقى على الأرض
ومصباحه يضيء ما أمامه.. كانت جثة متحللة، عظيمة..

لا شيء يدعو للخوف..

لا شيء..

رددت هذا بلسان صامت وكأن عقلي سيصدق هذا، ابتلعت ريقى وصحت مناديا على عباس وعاصم، لا أحد يجيب سوى صدى صوتي الذي يجوب القبر المفزع.. وإذ بي أفاجأ بعين تحملق في من الركن المظلم، عين بيضاء بلون الثلج..

وهاجمني تمثيل غريب غزا كل جسدي وحطم أية قدرة لي على أن أتحكم في جسدي.. وكأن مليار نملة راحوا يسرون بداخل جسدي.. حتى لساني قد أصابه شلل كئيب..

فقط الوعي هو الذي لم يصبه التلف حتى أدرك كل ما يدور من حولي من هول، ونهض الهيكل العظمي وكأنه يستيقظ من ثبات طويل، أتصدقني لو أخبرتك أنه راح يسعل وينفض التراب من عليه، أتصدقني لو أخبرتك أنه قد تحدث..

لقد سمعته يقول بصوت حاد كاد أن يمزق طبلي أذني..

" من هذا الملعون الذي أقلق منامنا "

لم أكن قويا لأحتمل أكثر من هذا وسقطت في بئر عظيمة من الظلام الدامس..

أفقت بعد لحظات على ما أظن، لأجد نفسي بداخل تابوت ضخم يتسع لعشرة أشخاص على الأقل.. وقفت بداخله مذهولا فزعاً..

رحت أطرق جوانبه الخشبية في هستيريا وصرخاتي لا تتوقف لحظة..

لم أدرك ما الذي جعلني أوقن أنني بداخل تابوت.. ولم أعي ما تلك القدرة العجيبة التي جعلتني أرى في الظلام..

وظهر من جديد.. ولكنه كان مكسواً باللحم.. أو لنقل كانت ذراعيه مكسوتان باللحم.. ويحمل عظمة حادة في يده..

وانقض صارخاً مستنكراً ما فعلته.. ودفعتة بعيداً ولكنه كان أقوى من أن أهزمه.. وهوى بقبضته على وجهي فتحطمت عويناتي وسالت الدماء من موضع الأنف، إنه الموت بلا شك.. ضربني من جديد ولكن بالعظمة فاخرقت صدري واندفعت نافورة من الدماء من موضع الطعنة، وهاجمني ضعف هائل احتل كياني جعلني أتراجع إلى ركن التابوت وأتخذ وضعية الجنين ثم..

ثم رحلت أبكي كطفل فقد أمه في سوق مليء بالأمهات..

واقترب مني واشتد نحبي وأغمضت عيناى و.....

سمعت همساً مخيفاً في أذني يقول:

" التهم ذراعيه فهما مصدر قوته حتى تحتفظ بحياتك "

ما إن انتهى الهمس حتى هوى بعظمته من جديد على رأسي
حينما رفعت عيني لأرى العظمة تهوي من فوقني فتفاديتها
بمعجزة، ثم احتضنته وسقطنا أرضاً و...

وغرزت أسناني في ذراعيه فصرخ بفرع.. كان اللحم يتفتت بين
أسناني، لحمًا نتنًا بشع الرائحة..

كنت أصرخ وقد تدفق الأدرينالين في جسدي ورحت أمزق ذراعيه
بأسناني وأمضغ اللحم بين أسناني وأبتلعه..

وسقط بعيد وراح ينتفض وينتفض، ثم سكنت حركته تماما..

وفي نفس اللحظة صرخت بطني بألم عات وكأني قد شربت من
حمم بركانية..

سقطت أرضاً وأنا أصرخ من هول الألم.. ولكنه نهض من جديد
حينما عاد اللحم يكسو ذراعيه ثانية..

وكان عليّ أن أدرك أنني لأنجو ثانية يجب أن ألتهم ما يجعل بطني
عالم من الألم.. وانقض من جديد ورحت ألتهم من جديد..

تكرر الأمر كثيرا جدا حتى أدركت أنني عالق هنا إلى ما لا نهاية..
وصرخت صرخة محترق في عالم الجحيم...

" عاصم "

ها هو يقف أمام القبر الضخم مبتسماً، سعيداً وكأنه أسعد أهل الأرض، يخرج من حقيبته شموع سوداء وحجر أسود، ها هو يرسم نجمة خماسية ثم يرسم بداخل كل ضلع دائرة وبداخل الدائرة ثلاثة رموز، ها هو يضع شمعة على كل طرف، ها هو يخرج كتاباً مهترئاً ويقرء بصوت أصاب الموتى بالرعب..

" ها هم بين يديك أسرى، قد اعترفوا بشرورهم فاقبلهم، دماءهم شراباً لك، أجسادهم طعاماً لك، أرواحهم ملك لك، " تعويذة سحرية "....

استيقظ يا حارس القبور ولبي النداء..

استيقظ يا مارء القبور واقبل الضحايا..

استيقظ يا مارء القبور واقبلني ساحراً سفلياً من سحرة القبور..

استيقظ لتكتمل السلسلة..

وهنا ارتجت المقابر كلها بعنف، وتشققت الأرض بخوف، وانزوى القمر خلف السحب في رهبة..

تقدم من القبر الأول الذي سقط فيه عباس وكتب عليه طلسمًا وقال:

" فلتشرب حتى يذهب عقلك فلتشرب حتى تضعف أيتها الحلقة
القوية فلتشرب حتى تهلك ويستيقظ حارس القبور "

ثم كرر الأمر مع القبر الثاني وقال:

" فلتسلمي جسدك أيتها العذراء لتتغذي السلسلة على دماء
عذريتك فلتسلمي جسدك ليستيقظ حارس القبور "

ثم كرر الفعلة من جديد وقال:

" فلتأكل أيتها الحلقة الضعيفة حتى يشد عودك ويتلبسك
الشیطان الأصغر فلتأكل حتى يستيقظ حارس القبور "

وفي تلك اللحظة انهار جسد عباس وسقط صريعا ثم انهارت
علياء لتنتهك الشياطين جسدها وانهار عمر بعد أن تلبسه
الشیطان الأصغر..

وفي تلك اللحظة صدر صوتاً من أعماق الأرض جعل الأرض
تنزوي خوفاً ورهبةً، صوتاً رهيباً وكأنه صوت وحش أسطوري..
وهنا أدرك عاصم أن القرابين قد قبلت وأن الحارس قد استيقظ
أخيراً..

وهنا أدرك أنه لا مجال لزيارة المقابر ثانية..

" نواحة "

تقف في قلب الظلام أمام تلك المقبرة..

تنوح..

تصرخ..

تلطم خديها وتضع وجهها في التراب..

تشق جلبابها والدموع تنهمر من عينيها كسيل من مطر..

تنادي على زوجها لعله يلبي النداء وينهض..

لعله يحتضنها كما كان يفعل..

يطمئننها كما كان يفعل..

ولكنه رحل وأبى عقلها أن يصدق، لذا راحت تنادي في إصرار.. " يا سبعي.. يا جملي.. يا رجلي.. يا حمايتي " " أشتاق لك، لِمَ تركتني.. ليتني كنت معك " وهنا ارتجت المقبرة وكأن زلزالا بقوة مئة ريختر قد أصابه، نهضت فزعة وراحت تصرخ وتولول ولكنها مجرد لحظات وفتح باب المقبرة ليسحبها بداخله وكأنها مجرد دمية صغيرة في قلب إعصار مميت.. وأغلق الباب من جديد ليحجب صرختها الأخيرة.. صرخة أرملة كانت تزور المقابر لتنوح على زوجها..

" زائرون "

إنه العيد ببهجته وفرحته، بضحكته وبسمته.. ولكننا نأبى إلا أن
ندمر تلك المناسبة ونقحم الحزن فيها، ها هم قد انتهوا من صلاة
العيد، ها هم يعرجون على القبور ليرثوا فقيدهم ويبكونه.. ها
هم قد سلكوا الطريق حتى المقبرة.. ها هم ينوحون ويبكون..

و.....

أقسم كل من يسكن بجوار القبور أنه سمع صوت صراخ رهيب
وكانه صراخ أهل قعر جهنم..

" شيخ عبد الله "

إنه يشعر بتقصير كبير تجاه ربه، الدنيا تجذبه إليها كامرأة غاوية،
ساحرة..

لذا فقد تذكر، تذكر القبور، وتذكر حديث الرسول الذي يحث على
زيارة القبور لتذكر الموت والآخرة والعظة من الذين يرقدون الآن
بداخل التراب وقد كانوا بالأمس أحياء يركضون..

لذا فقد ذهب وألقى السلام عليهم، وطاف بالمقابر كلها حتى
وصل إلى قبر عويس العماني، شعر بالرهبة فاستعاذ بالله، رجع
ولم يمسه نصب ولا أذى، رجع كما ذهب سليما معافى وإن زال
حب الدنيا من قلبه وعاد إليه إيمانه الكبير..

حتى زرع المغاربي

أحمد هرقاوي

" صاحب المائدة "

أنا حقا سعيد وأشعر بانتشاء كبير، لقد أتممت وجباتكم كما يجب،
لقد وعدتم فوفيتهم، أمرتم فأطعتم.. وأنا أيضا وعدت وسأنفذ
وعدي..

الآن انهضوا من على المائدة وارحلوا، ولكن لا تنسوا فموعدنا عما
قريب لنحصل على وجبتنا الثانية..

حقا تتساءلون عن اسمها!؟

حسنا سأخبركم فقط لأنني مسرور منكم اليوم..

إنها تسمى " المَيْئَةُ وَالِدَمُّ "

تمت بحمد الله

أحمد هرقاوي

حتى زرع المتاجر

العدد الثاني عما قريب..

" الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ "

أحمد شرفاوى

حتى زرع المتاجر

من أعمال الكاتب..

إني رأيت " رواية "

إن الله سيبطله " رواية "

العدد الأول من سلسلة مائدة الفزع..

للتواصل مع الكاتب..

<https://www.facebook.com/ahmedsharkawy661>